شاعر يرسم بريشته الأحداث

يقول في سيف الدولة بعدما عُوفِي من مرضه:

المجدُ عُوفي إذ عوفيتَ والكرمُ وزالَ عنكَ إلى أعدائِك الألمُ

إلى أن يقول:

وما أخصُّكَ في برءٍ بتهنئةٍ إذا سَلِمتَ فكلُّ الناسِ قد سلموا

وكأني بهذا المريض المعافى يترنح طربًا، ويطير شوقًا من هذه التهنئة الحافلة، والأنشودة الراقية، التي انهمرت على الممدوح كغمامة هلت ماءها في صيف متوقد.

فهو يخبره أن المجد مرض بمرضه، وعوفي بعافيته، وكذلك الكرم، ثم يدعو الله أن ينقل ألم الممدوح إلى أعدائه، ثم يهنئ الناس كلهم بعافية هذا الماجد الشهم النبيل. وأرعه سمعك وهو يقول لسيف الدولة:

هو البحرُ غُصْ فيه إذا كان ساكنًا على الدرِ واحذره إذا كان مزبدا

فإني رأيتُ البحرَ يعثرُ بالفتى وهذا الذي يأتي الفتى متعمّدا

تظلُّ ملوكُ الأرضِ خاشعةً له تُفَارقه هَلْكى وتلقاه سجّدا

هذا مدح تنصت له أذن الدهر، وتهش له الجبال حفاوة واحتفالًا، ولن أشرحه هنا؛ لأنه قريب منك؛ لكن في إباء سهل، لكن في امتناع مفهوم، لكن في عمق بديع.